بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لقد اعتنى القرآن الكريم بشؤون المرأة وبيان حقوقها في الكثير من سوره، حتى عرفت إحدى السور بـ (سورة النساء الكبرى) وعرفت أخرى بـ (سورة النساء الصغرى) وهما: سورة النساء (الرابعة في ترتيب المصحف) وسورة الطلاق (الخامسة والستون في ترتيب المصحف).

وهذا يدل على مكانة المرأة في نظر الإسلام، وأنها مكانة لم تبرز ولم تحظ بمثلها المرأة في شريعة أخرى، بل ولا في أي مجتمع إنساني على مر العصور والتطور الإنساني في هذه الحياة حتى يومنا هذا.

ولقد أثيرت في هذه الأيام عدة قضايا حول المرأة:

بعضها جاء تقليداً لمجتمعات بعيدة عن المنهج الإسلامي الذي يستقى من نصوص القرآن والسنة.

وبعضها جاء وليداً لعادات وأعراف توارثها الناس دون أن يستظهروا ما إذا كان هذا الذي توارثوه إسلامياً - صحيح النسبة إلى الإسلام أم لا.

وبعضها جاء نتيجة سوء الفهم لنصوص القرآن، أو التزمت في هذا الفهم: ونزيد إيضاح بعض تلك القضايا فيما يلي مستلهمين حكم الإسلام في كل منها مما جاء به القرآن الكريم، وسنة رسول الله ﷺ.

وسوف نلقي الضوء على جوانب هذا الموضوع من خلال فصلين، نلقى في أولهما: الضوء على قضية المساواة بين الرجل والمرأة في المنظور الإسلامي، ونبين في ثانيهما: الأحكام المتعلقة بقضية المساواة بين الرجل والمرأة.

1- هذا هو القرآن الكريم يحدثنا عن خلق الرجل والمرأة فيقول الله تعالى في أول "سورة النساء": ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء: 1]

وفي "سورة الحجرات" قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: 13].

والمستفاد من هاتين الآيتين- وغيرهما- أن القرآن لم يفاضل بين الرجل والمرأة في الجانب الإنساني، وإنما التفاضل يكون فيما يكتسبه الإنسان- رجلاً أو امرأة- من الصفات والأخلاق التي تسمو به إلى أفضل المستويات.

وفي القرآن ما يقرر أن الرجل والمرأة شطرا نفس واحدة، لا يختلفان في الإنسانية، كما لا يعد أحدهما فرعاً للآخر، وإنما هما شطران لنفس واحدة فهما

متكاملان، ذلك قول الله- تعالى- في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: 21].

وفي القرآن ما يقرر: أن الرجل والمرأة يشتركان في "الوالدية" فقد سمي القرآن الرجل: ولداً ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴾ [لقمان: 33].

وامرأته: والدة ﴿ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة: 233].

وجاءت نصوص الآيات بوضعهما معاً موضع التكريم والاحترام بوصف الوالدية، فكانت الوصايا العديدة التي تحث على الإحسان إليهما، وعلى البر بهما تذكيراً بالأصل الإنساني.

كما في قول الله - تعالى- في "سورة النساء": ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [النساء: 36].

وقول الله - سبحانه- في سورة الإسراء: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾[الإسراء: 23].

بل إن القرآن بعد أن ساوى بين الوالدين في الوصية بالإحسان إليهما واحترامهما- أرشد إلى ما للوالدة من جهود فائقة في تربية أولادها، لا يحمل الوالد منها شيئاً، من ذلك قول الله- تعالى- في "سورة لقمان" ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: 14].

وحين سأل رجل رسول الله ﷺ: ﴿**من أحق بحسن صحابتي قال: أمك. قال من: قال: أمك. قال: ثم من: قال: أمك. قال: ثم من: قال: أبوك**﴾ (رواه البخاري أول كتاب الأدب).

وتخصيص الأم بهذا القدر من العناية جاء تنظيماً لما تقضى به فطرة الخلق والتكوين، وجزاء عاطفة الشفقة الفائقة التي أودعها الله قلب المرأة لولدها، وبها احتملت مشاق الحمل، والولادة، والإرضاع وجهود التربية الأولى، والسهر على حفظ المولود في صحته وسلامته بما يؤهله إلى اجتياز مراحل الحياة. وذلك شأن تشريع الإسلام، فكما نظم صلة الولد بالوالدين، وأبان فضل الأم تقديراً لما تقوم به نحو الولد، وتقدير دور الوالد باعتباره المكافح الكادح المنفق- وكما فعل ذلك في محيط الوالدين- نظم تحصيل المال من طرقه المشروعة وإنفاقه في الوجوه المعقولة، دون تقتير أو تبذير، ونظم علاقات الناس بعضهم مع بعض على أساس من المحبة والتعاون دون استغلال لحاجة محتاج.

كل ذلك جاء تنظيماً لمقتضى الفطرة السليمة.

فهل مع هذه المساواة التي قررها الإسلام في القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في "الوالدية" والنص على كمال "إنسانية المرأة " وأنها. والرجل قد خلقا من نفس واحدة.

هل مع هذا يكون الإسلام قد ماز الرجل كإنسان عن المرأة كإنسان؟

اللهم: لا، وكل عاقل من ذكر وأنثى يقول: اللهم لا. بل الله يمن على المرأة بإنصاف القرآن الكريم لها وبرفعته لشأنها.

وهذا البحث يبين ما للرجل وما للمرأة من الحقوق والواجبات.

والله أسأل أن ينفع به إنه قريب مجيب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خادم العلم والقرآن

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر